تقرير

خليل حرب
Khalilharb66@gmail.com

على وقع "الدرونز" الايرانيّة والحرب الأوكرانيّة هجوم أصفهان: رسائل وحروب سرية

من مفارقات الحرب الروسية - الاوكرانية، التي مضى عليها عام، ان الطائرات الايرانية المسيّرة (الدرونز) تحولت الى العنوان الابرز في الخطاب الغربي واعلامه، والى قضية اتهام لايران رغم محدوديتها نسبيا، ورغم ان خزائن الجيوش الاوروبية تكاد تفرغ في ظل خطوط الامداد المفتوحة على مصراعيها لدعم اوكرانيا في خوض المعارك على الجبهات

صار من الواضح ان العلاقة بين ايران وروسيا، مهما كان حجمها وطبيعتها، تثير قلق الولايات المتحدة واسرائيل. فواشنطن تتهم طهران بتزويد موسكو العتاد العسكري في حربها مع اوكرانيا، بينما ترى اسرائيل فرصة مناسبة لتقويض اي اتفاق محتمل في الملف النووي الايراني، وهو ما يتجلى بالضربة العسكرية على مدينة اصفهان، اذ تندرج كما يبدو في اطار السعي لمنع التواصل العسكري بين ايران وروسيا، بالاضافة الى استهداف استقرار ايران من الداخل واضعاف موقفها التفاوضي.

اعلنت ايران في 29 كانون الثاني الماضي عن التصدي لمحاولة هجوم من ثلاث طائرات مسيّرة رباعية صغيرة استهدفت مصنعا للذخيرة في مدينة اصفهان، حيث افادت وكالة الانباء الايرانية الرسمية عن بيان لوزارة الدفاع انه جرى اسقاط احدى الطائرات المسيّرة بينما انفجرت الاخريان فوق المستودع، مما تسبب في الحاق اضرار في السقف، بينما لم يسفر الهجوم عن وقوع اصابات. واوضحت وزارة الدفاع الايرانية نقلا عن مصدر مطلع ان "3 مسيرات من طراز كوادكوبتر محملة بقنابل صغيرة نفذت هجوم اصفهان"، مشيرا الى ان "نوع المسيّرة المستخدمة في الهجوم يؤكد انه تم تنفيذه من داخل البلاد".

> **اول هجوم معروف بحكومة نتنياهو**

صواريخ جافلين.

ولأن اسرائيل لا تعلن عادة عن عملياتها الامنية السرية ضد ايران ولا تسمح رقابتها العسكرية بنشر معلومات حول ذلك، فانها على ما يبدو تسرب المعلومات الى وسائل اعلام اجنبية، حيث ذكرت صحيفة "وول ستريت جورنال" ان اسرائيل هي التي نفذت الضربة على المجمع العسكرية في اصفهان، موضحة ان هذه الضربة تعتبر الهجوم الاول المعروف الذي تنفذه اسرائيل في ظل الحكومة الجديدة بقيادة بنيامين نتنياهو. من جهتها، اشارت صحيفة "نيويورك تايمز" الاميركية الى ان "الطائرات المسيّرة التي استهدفت مواقع في اصفهان يعتقد انها انطلقت من داخل ايران".

اما من الطرف الاسرائيلي، فقد نقلت صحيفة "جيروزاليم بوست" عن مصادر في المخابرات غربية قولها ان هجوم اصفهان شكل نجاحا هائلا، موضحة ان "اسرائيل تلعب دور الصمت في الحادث". كما كشف مسؤول رفيع في الاستخبارات العسكرية الاميركية لوسائل اعلام ان "المسيّرات الحربية التابعة لسلاح جو الدفاع الاسرائيلي التي ضربت مواقع حيوية ارهابية تابعة للحرس الثوري في اصفهان في عمق ايران، عالية التطور ومن الصعوبة رصدها"، وانه "تم تنسيقها مع سلاح الجو الاميركي وبعلم من قادة

طائرة شاهد - 136.

غارات على الحدود

بخلاف محاولة ضرب مجمع اصفهان، فان هجمات جوية تستهدف بين الحين والاخر منطقة الحدود العراقية - السورية، كان اخرها سلسلة ضربات في 29 كانون الثاني والاول من شباط، واستهدفت قوافل تقول وسائل اعلام اسرائيلية انها تحمل اسلحة. في مطلع تشرين الثاني الماضي، قال رئيس اركان الجيش الاسرائيلي افيف كوخافي ان سلاح الجو الاسرائيلي شن غارة جوية استهدف قافلة زعم انها كانت تحمل اسلحة ايرانية متجه الى لبنان.

في موازة ذلك، تنفذ هجمات صاروخية بين الحين والاخر على القاعدة الاميركية في حقل العمر النفطي في ريف دير الزور الشرقي في سوريا. وفي 15 شباط الماضي، ذكر الجيش الاميركي انه اسقط مسيّرة ايرانية كانت تستطلع قاعدة اميركية في شمال شرق سوريا.

"شاهد-136"

تركز التقارير والاتهامات الغربية والاسرائيلية على الطائرة الايرانية المسيّرة من طراز "شاهد - 136" والتي يطلق عليها الروس اسم "جيرانيوم - 2". وهي مزودة برأس حربي في مقدمتها (وزنه بين 30 الى 50 كلغ)، ويقول الغرب انها تستهدف محطات الطاقة الاوكرانية، وتحركات القوات الاوكرانية على الجبهات. ويبلغ عرض الطائرة 2.5 متر، ومن الصعب اكتشافها بالرادار. وهي تعتبر خيارا كبديل لصواريخ الكروز الاغلى كلفة، حيث يعتقد ان الطائرة الواحدة كلفتها 20 الف دولار فقط. والطائرة قادرة على التحليق لمسافة 2500 كلم، وتبلغ سرعتها القصوى 185 كلم بالساعة. ومن المعتقد ان الروس استخدموها للمرة الاولى في 13 ايلول الماضي بهجوم على اهداف عسكرية في منطقة خاركيف، في الشرق الاوكراني.

البنتاغون والرئيس جو بايدن"، الا ان المتحدث باسم وزارة الدفاع الاميركية الجنرال باتريك رايدر اكد عدم مشاركة اي من القوات العسكرية الاميركية في الهجوم على اصفهان.

بعدها بايام، وتحديدا في 10 شباط، اعلن الجيش الاسرائيلي مقتل ميشيل بارشت التي وصفت بانها مسؤولة التخطيط والاشراف والانتاج في سرب صيانة الطائرات في قاعدة تل نوف الجوية الاسرائيلية، نتيجة "حادث سير". لم يتسن التأكد من مدى صحة الحادث، لكن مواقع ايرانية كانت نقلت عن مسؤول ايراني لم تحدده قوله ان ايران انتقمت لهجوم اصفهان، واسرائيل تدرك ذلك، وهو ايضا لم يحدد ماذا كانت طبيعة الانتقام. وفي 17 شباط، ذكرت تقارير اسرائيلية ان سفينة لشحن النفط يمتلكها اسرائيلي، تعرضت لهجوم انتحاري من طائرة مسيّرة تابعة للحرس الثوري الايراني، فيما يبدو انه جزء من الحرب السرية والانتقامية الدائرة بين الطرفين.

وكان مبعوث طهران لدى الامم المتحدة امير سعيد ايرواني، قال بعد هجوم اصفهان بايام، ان التحقيقات الاولية تشير الى مسؤولية اسرائيل عن هجوم اصفهان، مؤكدا ان هذا الفعل يتعارض مع القانون الدولي وان ايران تدينه. كما ان موقع "نور نيوز" المقرب من مجلس الامن القومي الايراني، ذكر ان المعلومات تشير الى ان قطع المسيّرات والمواد المتفجرة التي استخدمت في الهجوم قد ادخلت من حدود اقليم كردستان في العراق، وذلك بطلب من احد اجهزة الاستخبارات الاجنبية وبتعاون من الجماعات الكردية المعارضة التي تتخذ من اقليم كردستان العراقي مقرا لها، مشيرا الى ان تركيبها نفذ في ورشة داخل البلاد.

من المعلوم ان اجهزة الامن الايرانية اعلنت مرات عدة خلال الاشهر الماضية عن اعتقال خلايا تعمل لصالح جهاز الموساد الاسرائيلي، كانت تخطط ◄

◄ لعمليات تخريبية في مناطق حساسة داخل البلاد. كما نفذت القوات الايرانية ضربات بمسيرات وصواريخ استهدفت مواقع تابعة للمعارضة الايرانية الكردية في اقليم كردستان العراقي.

المهم ان هجوم اصفهان يصب في اطار حرب الرسائل المتبادلة، ويحاول الاسرائيليون، والاميركيون بطبيعة الحال، اضعاف موقف طهران في اي استئناف مستقبلي لمفاوضات الملف النووي الايراني، والتضييق عليها، سواء من خلال العقوبات او من خلال محاولة عزلها سياسيا، وخاصة اوروبيا، حيث بدا ان عواصم اوروبية عديدة منهمكة حاليا بتداعيات الحرب الاوكرانية، اصبحت تتبنى "التهمة" الموجهة لايران بدعم موسكو عسكريا.

كما ان هجوم اصفهان يحمل رسائل في اتجاه روسيا لتصويرها بانها عاجزة لولا الدعم العسكري الذي تلقته من خلال الطائرات المسيّرة. في هذا السياق، قالت صحيفة "يديعوت احرونوت" الاسرائيلية ان الغارة على اصفهان قد تكون استهدفت موقعا تطور فيه ايران بمساعدة من روسيا، صواريخ فرط صوتية، في اشارة للتاكيد على التنسيق العسكري بين طهران وموسكو.

المفارقة ان كل ذلك يحدث فيما تدفقت على مخازن الجيش الاوكراني اسلحة وذخائر واعتدة بعشرات مليارات الدولارات منذ بداية الحرب، وهو دعم ينتقل حاليا الى مرحلة تزويد الاوكران دبابات ثقيلة ومدافع ضخمة وانظمة صاروخية متنوعة، في ظل النقاش الدائر ما اذا كان يجب على الغرب الانتقال الى مرحلة تزويد كييف بمقاتلات جوية حديثة.

واخذ هجوم اصفهان بعدا لافتا بعدما جرى التلميح الى تورط اوكراني فيه، حيث قال المستشار في الرئاسة الاوكرانية ميخائيل بودولياك ان الحرب تحاسب المتورطين والمتواطئين بشكل صارم، فهناك ذعر وتعبئة لا نهاية لها في روسيا، وليلة متفجرة ضد منشات تصنيع طائرات مسيّرة وصواريخ ومصافي نفط في ايران، حسب قوله.

وسبق لايران، من خلال وزارة خارجيتها ان اعلنت بعد ظهور التقارير التي تحدثت ان ايران تزود الجيش الروسي مئات الطائرات المسيّرة، ان اكدت انها لا تتعاون مع موسكو في مجريات الحرب الاوكرانية، وان هذه الطائرات اشترتها روسيا قبل بداية الحرب في 24 شباط 2021. في هذا السياق، كرر المتحدث باسم الخارجية الايرانية ناصر كنعاني موقف بلاده من الحرب قائلا "لسنا طرفا في الحرب الدائرة في اوكرانيا، والاتهامات ضدنا مضللة، لأن التعاون مع روسيا بدا ما قبل الحرب على اوكرانيا".

من اجتماعات الناتو.

دعم عسكري سخي لكييف

من الاسلحة التي قدمتها المانيا الى اوكرانيا نظام الدفاع الجوي "ايريس-تي" ودبابات "ليوبارد 2" و30 دبابة دفاع جوي طراز "جيبارد"، ومدفعية طراز "هاوتزر 2000"، وقاذفات صواريخ متعددة من طراز "مارس 2".

ونسق الالمان والاميركيون تزويد الاوكران نظام بطاريات "باتريوت". وارسل الالمان ايضا مركبات مشاة قتالية من طراز "ماردر". وتعهد الاميركيون تقديم عربات جند من طراز برادلي ومدافع هاوتزر ذاتية الدفع وقد الفرنسيون مركبات استطلاع كدبابات خفيفة من طراز "ايه ام اكس10- ار سي". ويعتزم الالمان تقديم الف قاذفة صواريخ و500 صاروخ ارض جو "ستينغر". كان الاميركيون قدموا ايضا كميات كبيرة من صواريخ "جافلين" المضادة للدبابات، وزوارق دوريات وبنادق قنص ومحطات رادار مضادة لبطاريات المدفعية والصواريخ. ومنذ العام 2014 على الاقل، تقدم الدول الغربية دعما عسكريا سخيا لكييف.

من جبهات الحرب في اوكرانيا.

وكان البرلمان الاوروبي قد صوت باغلبية (598 نائبا مؤيدا في مقابل 9 معارضين وامتناع 31 عن التصويت) على نص يدعو الى ادراج الحرس الثوري الايراني على قائمة المنظمات الارهابية "نظرا الى نشاطه الارهابي وقمع المحتجين وتزويد روسيا طائرات مسيّرة".

ولا يزال هناك تباينات في مواقف الحكومات الاوروبية من هذا النص، بينما وجهت ايران تحذيرا للاوروبيين بانهم لو مضوا قدما بمثل هذا القرار، فسيكونون كمن يطلق النار على قدميه، حيث تؤكد طهران الى الحرس الثوري "منظمة سيادية تلعب دورا محوريا في ضمان امن ايران".

يدرج بعض المراقبين قرار البرلمان الاوروبي في سياق محاولة لمواكبة الحركة الاحتجاجية التي شهدتها مدن ايران في ما يتعلق بقضية الحجاب، لكنه يعكس ايضا استياء اوروبيا من المسيّرات الايرانية التي ساعدت بشكل او باخر في محافظة الجيش الروسي على تفوق جوي، بكلفة محدودة، في مواجهة جحافل الوحدات العسكرية الاوكرانية والاسلحة المدرعة التي تدفقت عليها من الغرب بكثافة.

لكن هناك من يقول ايضا ان هذه حملة الاتهامات هذه حول المسيّرات، وتهمة "الارهاب" ضد الحرس الثوري، هي ايضا تندرج في سياق الضغوط على الايرانيين في ملف المفاوضات النووية. ولقد كان من اللافت ان توقيت هجوم اصفهان تزامن مع زيارة وزير الخارجية القطري محمد بن عبدالرحمن آل ثاني الى طهران، حيث قال وزير الخارجية الايراني حسين امير عبداللهيان ان الضيف القطري سلمه رسائل من "اطراف الاتفاق النووي" تتعلق بالمفاوضات بين طهران والقوى الدولية الكبرى في شأن اعادة احياء الاتفاق.

وكان الوزير القطري ابلغ عبداللهيان في تشرين الاول 2021، بأن الجانب الاميركي مهتم بتبادل الرسائل وبجهود الاتحاد الاوروبي كمنسق للوصول الى اتفاق والعودة الى خطة العمل المشتركة لتطبيق الاتفاق.

لكن الاميركيين اعلنوا عن مناورات ضخمة مع الاسرائيليين في 23 كانون الثاني الماضي، وصفت بانها محاكاة لهجوم على ايران، حيث قال قائد اركان الجيش الاسرائيلي افيف كوخافي، ان قواته حسنت جاهزيتها لضرب اهداف نووية ايرانية، بينما طلبت وزارة الدفاع الاسرائيلية، رفع ميزانيتها تحضيرا لمثل هذا الخيار، وذلك بزيادة استثنائية بلغت قيمتها 2.8 مليار دولار.

الاستعداد للحرب؟

قالت رئيسة المفوضية الاوروبية اورسولا فون دير لاين، خلال مؤتمر ميونيخ للامن في 18 شباط الماضي، ان دول الاتحاد الاوروبي والبيت الابيض والخزانة الاميركية جهزت عقوبات ضد روسيا قبل بدء الهجوم الروسي في اوكرانيا، وتحديدا منذ كانون الاول 2020. لكنها اضافت "كنا نأمل الا نضطر الى استخدام هذه العقوبات". من جهته، قال الامين العام لحلف "الناتو" ينس ستولتنبرغ، ان الحلف كان يستعد للصراع في اوكرانيا منذ العام 2014.